المحاضرة رقم 01 : الخلفية الجغرافية لأقاليم جنوب إفريقيا

مدخل لجغرافية إفريقيا:

تنتمي القارة الإفريقية للعالم القديم،فهي أهم حلقة جغرافية تجمع القارات الأخرى – آسيا وأوربا – فقد شكلت منذ القدم محط أنظار الكثير من الشعوب و مع الزمن تضاعف الاهتمام بها حتى أصبحت محل تنافس بين الدول المحتلة و المستعمرة الخاصة بعد اكتشاف مصادرها الحيوية المتعددة .

وقد تعددت الأراء واختلفت حول أصل تسميتها- إفريقيا – الذي لم يكن يطلق علي القارة كلّها بل اقتصر علي منطقة منها وقد سميت " إفريقية " أمّا ما تبقى فقد كان يحتمل أسماء مختلفة منها: بلاد مصر – بلاد النوية والحبشة وبلاد الزنج أمّا بلاد شمال إفريقيا فقد ذكرت بعض المصادر الغربية أن الرومان عندما اجتاحوا قرطاج عام 146ق.م أنشئوا مقاطعة إفريقيا provincial Africa و هو خاص ببلاد تونس حاليا لهذا فإن العرب لا يقصدون بكلمة إفريقية سوى ضواحي قرطاج بتونس.

أمّا المصادر العربية فقد ذكر ياقوت الحموي (574هـ – 627هـ) أنها سميت كذلك نسبة إلى إفريقيش بن أبرهة بن الرائش ، وقيل إفريقيش بن صِفي بن سبأنب يشجب بن يعرب بن قحطان ، وذكر أنهُ عندما غزا المغرب إلى موضع واسع رحيب كثير الماء ، فأمر أن تُبنى مدينة سماها إفريقية واشتق اِسمها من اسمه ثم نقل إليها النّاس ،و يرى الوزان في كتابه أنّ أصل تسميتها من الفعل فرّق بمعنى فصل ويرى في رأي آخر أنها اسم إفريقيا من إفريقش القادم من اليمن. إفريقش ملك اليمن الذي كان أول من سكن هذه البلاد كما أن آراء المؤرخين الغرب مختلفة ؛بحيث يرى " غوتييه " أنّ اسم إفريقيا كان في البداية يطلق على قرطاجة ومناطق نفوذها قبل أن يُعمّم على كل القارة ، واسم إفريقيا هو الاسم الرسمي لمقاطعة قرطاجة التابعة للرومان خاصة بعد انتهاء الحروب البونية.

أمّا المؤرخ الإيطالي "إيتوري روسي فيرى "أنّ الرومان قد حددوا اسم سكان وشعوب القارة باسم إفري أو أفريكاني.

أمّا عن موقع القارة الإفريقية فهي تنحصر بين دائري عرض 83° شمال خط الاستواء و35° جنوبه ، قسمًا كثيرًا منها يقع بين المدارين(الجدي والسرطان) ،موقعها متميز بحيث يأخذ الوسط تتصل بآسيا بشبه جزيرة سيناء ولا يفصلها عن شبه الجزيرة العربية سوى الأخدود الذي تغمره مياه البحر الأحمر والّذي ينفصل عن المحيط الهندي

بمضيق باب المندب، ولا يفصلها عن أوربا سوى حوض البحر المتوسط ، بل تكاد تلامسها عبر جزيرة صقلية و مضيق جبل طارق ، أمّا الساحل الغربي فيطل علي المحيط الأطلسي ما اصطلح عليه بالبحر الأحمر المظلم.

ونقصد بإفريقيا ما وراء الصحراء أو جنوب الصحراء الأقاليم التي توغل فيها العرب ونشروا فيها الإسلام منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي ،وهي الأقاليم التي اصطلح عليها اسم السودان بأقاليم و أقسامه الثلاثة ، هذه الأقسام الممتدة من البحر الأحمر شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا.

هذا وقد كان العرب أول من أطلق هذا الاسم أو كلمة السودان على هذه الأماكن نسبةً إلى سواد الأقوام القاطنين فيها،وهو لفظة استعملها المؤرخون و الجغرافيون المسلمون على البلدان الواقعة جنوب بلاد المغرب ومصر التي يسكنها أقوام سود فنسبوا المنطقة إلى سواد سكانها بل منهم من أطلق هذه التسمية حتى على بلاد شبه الجزيرة الهندية التى سكنها السود ، وحيث أن العرب كانوا يضيفون ألفا ونونا على المفردات التالية : السُّودْ و البيضْ و الحُمْر لتصبح بنطقهم : سودان ، بيضان حُمْرَانَ فمنهم من أرجع أصل السودان إلى أبناء كوش بن حام وهم الحبشة . كما يرجع البعض أصل سواد سكان هذه المنطقة للحرارة المرتفعة ، فهذا قول عبد الرحمان بن خلدون عن دور الحرارة في لون البشرة قائلاً "... ويسمى سكان الجنوب من الإقليمين الأول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان ،أسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد...وفي ذلك دليل على أنّ اللون تابع لمزاج الهواء. كما قال ابن سينا في أرجوزته في الطب :" **بالزنج حرّ غير الأجساد** " .

وفي العموم فإن بلاد السودان جنوب الصحراء يحدها من الشرق البحر الأحمر ومن الغرب المحيط الأطلسي، شمالاً الصحراء الكبرى ومن الجنوب الغابات الاستوائية.

وقد قسم المختصون بلاد السودان إلى ثلاث أجزاء سميت بالأقاليم التالية :

1- بلاد السودان الشرقي : الواقع بين البحر الأحمر والنيل جنوب النوبة وهو الذي تطلق عليه العرب بلاد الزنج.

2- بلاد السودان الأوسط : وهي الواقعة حول بحيرة التشاد إلى إفريقيا الوسطى وجزءًا من نيجيريا و الكامرون حتى حدود فزان شمالاً. اي يشمل حوض التشاد.

3- بلاد السودان الغربي : وتمتد من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية ، و نقطة ارتكازه هي حوض السنغال و حوض نهر النيجر الأعلى و الأوسط.

أمّا عن الدول الإفريقية التي تدخل ضمن الإقليم الجغرافي للسودان الأوسط والغربي هي : نشاد ، إفريقيا الوسطى ، الكامرون ، نيجيريا ، بنين (الدهومي)، الطوغو فولتا العليا (بوركينافاسو)،سيراليون ، غينيا بيساو، غنيا، غانا (ساحل الذهب) ساحل العاج (كود ديفوار)، غامبيا ،السنغال ، مالي ، موريتانيا ، الصحراء الغربية وهذا المجال الواسع لأمصار السودان الأوسط والغربي .